تصوير إعاقة الهُويّة الأنثويّة في زمن الحرب بين روايتي(حكاية زهرة) للكاتبة اللبنانيّة حنان الشيخ، و(ألف شمس ساطعة) للكاتب الأفغاني خالد الحسيني.(دراسة مقارنة).

**أ.د.عيد حسن محمود *د.طلال حسن

*محمّد سليم عبد الرحمن

ملخص البحث

يقوم البحث على تصوير اصطناع إعاقة أنوثة كلّ من: (زهرة) في الحرب الأهليّة اللبنانيّة، و(مريم) في حربي طالبان والمجاهدين على أفغانستان، محاولاً الإجابة عن الأسئلة الآتية: هل الأنوثة، بوصفها إعاقة موروثة ثقافيّاً تنطلق فقط من لا قدرة الجسد، أم من قدرة الذّهنيّة التي تُطلق الضوابط التي تختزل الجسد الأنثويّ بتلقّي الضعف؟! و ماذا عن طبيعة المعايير التي تغيّرها الحرب في فهم آخريّة الأنثى ، وهامشيّتها، بوصفها المعاقة الأبديّة في العرف البطرياركي؟!

تثبت الحروب الذاتيّة الباردة أنّ الأنوثة موقع ثقافيّ هويّاتي، مُسبق الإعاقة؛ لأنّ إساءات التربية الذكوريّة التي سنّت معايير إعاقة الجسد، تصوّره سافراً، ومعرّضاً للإعاقة اللفظيّة الدّائمة. وإنّ لا ملاءمة الأجساد الأنثويّة الفيزيولوجيّة للمعايير الذكوريّة

** أستاذ . قسم اللغة العربية. كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة . جامعة تشرين . اللاذقية . سورية.

* مدرّس. قسم اللغة العربية. كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة . جامعة تشرين ـ جامعة تشرين . اللاذقية . سورية.

*طالب دكتوراه (الدراسات الأدبيّة). كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة. قسم اللغة العربيّة. جامعة تشرين . اللاذقية . سورية.

النسقيّة تفضح نكوصيّة الذهنيّات المصوّرة سواء أكانوا رجالاً أم نساء، التي يُفترض أنّها في طور الإعاقة الاجتماعيّة–النفسيّة؛ بسبب استحواذ المركزيّة الثقافيّة الفحوليّة على عقولهم. وكذلك تتّسم معايير الإعاقة الأنثويّة في أزمنة الحروب العسكريّة بأنّها معايير مُغايرَة لا أنظمة قدرة، وقوّة.

كلمات مفتاحيّة: تصوير ،إعاقة، هوية أنثويّة، زمن الحرب، ذكوريّة، قابليّة، قدرة، فاعليّة

The Representation of the female identity disability at war time in the novels :" The Story Of Zahra"by the Lebanese Hanan ALshayhk and "A Thousand Splendid Suns" by the Afghani Khaled Alhusinie .A Comparative Study.

[*]Prof.Edi Hassan Mahood

[**]Dr.Talal Mohmmed Hasan

[*]**Mohmmed Saleem Abd al-rahman.

Abstract

The research represents the feminine disability of both *Zahra* at the *Lebanese* Civil war and *Mariam* at the *Talban* War trying to request the following questions :Is the femininity as a hereditary disability launched from the physical –disability or the ability of the mentalities which identify the standards of the disability which shrink the female body as weakness recipient? And what about the standards of the war perceiving the marginality and the otherness of the female ,who is an eternal disabled figure in the patriarchal tradition.

In conclusion ,the self-cold war demonstrate that femininity is a cultural identity location which is pre-disabled because of the abuses of the patriarchal education ,which identifies the disabled bodily norms and embodies the body unveil and usually exposure the oral violated-disability .On the other hand, the non-standard of the female body to the physical and masculine standards expose the regression of the representers mentalities of both man and women whom supposed to be at the disability phase because of the of the cultural phallocentric preoccupation on their mind .However,the feminine disability standards are grotesque rather than ability powers.

Key Words: representation, ability ,disability, female identity, war time, ability **,**masculinity, agency.

[*]Professor at Arabic language and Literature Department –Tishreen University – Lattakia-Syria.

[**]Doctor - Arabic Department-Faculty of Arts and Humanities-Tishreen University-Lattakia-Syria.

***P.HD student Arabic Department-Faculty of Arts and Humanities-Tishreen University-Lattakia-Syria.

مقدّمة البحث.

يتقاطع حقل دراسات الإعاقة(Disability Studies) مع حقلي الدّراسات الجندريّة(Gender Studies)، والنقديّة (Critical Studies)؛ بهدف تسليط الضوء على فاعليّة الأجساد البشريّة المتشرّبة لأنظمة العرق، والإثنيّة، والجنسانيّة، والطبقة الاجتماعيّة؛ إذ تنطلق المقدّمة المنطقيّة التوضيحيّة للنظريّة النسويّة للإعاقة من تشابه الإعاقة مع الأنثويّة(Femininity) ليس بوصفها حالة طبيعيّة للدونيّة الجسديّة، أو العجز، أو الإفراط،، بل لأنّ الإعاقة هي سردٌ ملفّق ثقافيّاً للجسد، على غرار ما نفهمه على أنّه أوهام العرق، و الجنوسة.

تعيش الذّاتان الأنثويّتان (زهرة، ومريم) حربين ظاهريّتين، هما: الحرب الشخصيّة التي تم اصطلاح تسميتها بالحرب الذاتيّة الباردة، والحرب العسكريّة؛ أي حربا لبنان وأفغانستان، لكن في نطاق الحربين هناك امتدادات لحروبٍ بطرياركيّة تشنّها المخيّلات الذكوريّة التي تتلقّف مثول الشخصيّتين في الروايتين على أنّهما مُعاقتان جسديّاً، وتحكم عليهما بالزّجر والتسفيه؛ ممّا يصوّر حروبهما مناورة انتزاع عقلانيّة الأنثى من عين الآخر المصوّر للإعاقة على أنّها جسد شاذّ.

مشكلة البحث، وأهميّته، والجديد فيه.

تتجلّى أهميّة البحث في اشتغاله النقديّ الثقافي، والتطبيقي المقارن على مفهوم نفسيّ –سياسيّ متشعّب هو مفهوم الإعاقة الطبّي –الثقافيّ في سياقين ثقافيين مختلفين هما: الحرب اللبنانيّة في رواية (حكاية زهرة)، والحرب الأفغانيّة في رواية (ألف شمس ساطعة)؛ وذلك بتركيزه على الحروب الذاتيّة الباردة لكلّ من (زهرة)في الرواية اللبنانيّة، و(مريم)في الرواية الأفغانيّة التي تعكس الإساءات الذكوريّة، والتربويّة–النسقيّة التي يتحوّر معناها في زمن الحرب العسكريّة.

أهداف البحث وأسئلته.

يهدف البحث إلى إثارة التساؤل الآتي: هل الأنوثة، بوصفها إعاقة موروثة ثقافيّاً تنطلق فقط من لا قدرة الجسد؟! وماذا عن قدرة الذّهنيّة التي تُطلق مثل هذه الضوابط التي تختزل الجسد الأنثويّ بتلقّي الضعف، واللاقدرة على إثبات العكس ؟! وأيّة معايير تلك التي تغيّرها الحرب؟ وهل تعبث فيها مثل عبثها بالأرواح البشريّة ذكوراً أم إناثاً؟! هذا ما سيحاول البحث الإجابة عنه بتصويره إعاقة–أنوثة كلّ من: (زهرة) في الحرب الأهليّة اللبنانيّة ، و(مريم) في حربي طالبان، والمجاهدين على أفغانستان.

مصطلحات البحث وتعريفاته الإجرائيّة.

–تجارب النساء، وحدود الحرب.

تُثير تجارب النّساء في زمن الحرب ثقافيّاً سؤال ديناميّة أنطولوجيّتهن الوجوديّة اضمحلالاً ، أو قلقلةً، أو فاعليّة؛ لأنّه حين يُنظر إلى الحرب من منظور حياة المرأة، يتّضح أنّ ما يُصنَّف على أنّه (حرب) هو ذاته إشكاليّ ؛ إذ إنّ فكرة (الحرب)، بوصفها حدثاً منفصلاً له موقعٌ واضح، ونهاية وبداية واضحتان، لا تصمد أمام التمحيص الدقيق حين دراسة تجارب النّساء قبل الحرب ، وفي أثنائها، وبعدها، ولاحين يُفكّر بما هو لازم لشنّ الحرب.[1]

إنّ القضيّة الحيويّة هي موقف المرأة من مفهوم الحرب؛ فالحرب من وجهة التحليل النفسيّ– النسويّ ((ليست محدودة بمكان أو زمان، وبدلاً من النظر إليها على أنّها حدث شاذّ اندلع فجأة ضمن بيئة مُسالمة، يُنظر إليها على أنّها نتيجة الواقع الاجتماعيّ الذي ازدهرت فيه، وسببه أيضاً))[2]؛ أي لا تعدّ المرأة اندلاع الحرب العسكريّة غزواً لنطاق تجربتها الشخصيّة فحسب،بل ينسحب مفهومها عنها على ما قبل

[1] يُنظر: كوهن كارول،2017–**المرأة والحرب**، تر: ربى خدّام الجامع، تدقيق الترجمة: ضحوك رقيّة، (الطبعة الأولى) ، دار الرحبة للنشر والتوزيع، دمشق–سوريا،ص66–67.

[2] يُنظر :**المرجع نفسه**، ص 67.

اشتعال الحرب السياسيّة، وما يليها؛أي انطلاقاً من منبتها البطرياركي مروراً بتنشئتها الراديكالية أنثويّاً، وانتهاءً باستمراريّة نزاعها مع الأنظمة الأيديولوجيّة الذكوريّة التي لا تقلّ قمعاً عن آلة الحرب ونظام العسكرة.

أمّا تجربتا النسّاء في البحث ، فهما تجربتان جندريّتان، تمثّلهما: (زهرة)، و(مريم) اللّتان تخرقان فضاءات الحرب العسكريّة، وتكشفان الانتهاكات الذكوريّة والبطرياركيّة ،والإساءات المجتمعيّة المرتكبة بحقّهن قبل اندلاع الحرب الأهليّة اللبنانيّة، وفي زمن حربي: المجاهدين وطالبان؛ إذ لا يُلمَح ميدانٌ عسكريٌّ يُكسبهما صبغة المُقاتل، بل تتجلّى حلبة قتاليهما في نطاق المنزل أكثر على نحوٍ تخوضان فيه حرباً باردة جذورها ضاربة في تفصيلات سابقة للحرب العسكريّة، حاصرت حياتهما بقيود أشدّ لغماً من الحرب بقنابلها، ورصاصها، وشتاتها؛ وأثقلت كاهليهما بمزيدٍ من الكبح الذي ثبّط استمراريّتهما الوجوديّة.

-الأنوثة، والإعاقة.

يستعمل البحث مفهوم الإعاقة استعمالاً مجازيّاً -ثقافيّاً؛ ليصف نزاع الهويّات الأنثويّة المعقّدة، والمقيّدة في زمن الحرب، ومناورتها لانتزاع أنوثتها التي حكمت عليها الثقافة بالدونيّة والعار، وكيف حال ذلك في زمنٍ مُثقلٍ بالإعاقة المعرفيّة التي تئد المرء، وتثبّط نموّه وجوديّاً حتّى يغدو معطوباً فكريّاً، فتصوّره مسخاً، أو قزماً ،أو عاهةً؟

-في مفهوم الإعاقة(Disability).

تعدّ الإعاقة تصنيفاً ثقافيّاً-اجتماعيّاً، وسياسيّاً، وتدلّ الدراسات الاجتماعيّة(**Social Studies**) أنّ الأشخاص المُعاقين، أفراد خائرو القوى، يُتوقّع أنّهم يفتقرون إلى السلامة العقليّة أو الجسديّة، ويعانون من خلل اجتماعيّ[1]، بينما تجد

[1] See: SUCHUMAN,D and MICHEAK S2o11-***Disability in Judaism ,Christianity and Islam :Sacred Text ,historical Traditions and social analysis*** .New York ,Macmillan Print, ,P348.=

الدّراسات الطبيّة(**Medical Studies**) أنّ الإعاقة تكمن في أجساد الأفراد المُعاقين(**Disabled Individual Body**) وليس في المُجتمع الذي يحكم على الإعاقة ،ويصم الفرد المعاق بالضعف، وتعتمد هذه الدّراسات على القواعد الثقافيّة لبناء معايير الجسد المثالي(**Ideal Normal Body**)؛ إذ تميل إلى تهميش الأجساد المُعاقة، والاحتفاء بمعايير الجسد السليم المُعافى من منطلق أنّ الأجساد المعاقة لا يُمكنها الاندماج، وتظلّ مقصيّة ثقافيّاً.[1]

يتشعّب مفهوم الإعاقة ليشتمل على ((فئاتٍ إيديولوجيّة متنوّعة من مثل: مريض، أو مشوّه ، أو مجنون، أو بشع، أو مسنّ، أو مُقعد ، أو منكوب، أو مخبول، أو مُستضعف. تؤذي جميعها النّاس بالتقليل من قيمة الأجساد التي لا تتماشى مع المعايير الثقافيّة)).[2]

إنّ المجتمع يضع تلك المعايير التي يجري الاتفاق عليها؛ لتشكّل عرفاً لا يجوز الحياد عنه، ويتّضح أنّها معايير تخفض المقبوليّة المجتمعيّة لأصحاب الإعاقة بعين أنفسهم، وتشرّع إلغاءهم بين الآخرين حولهم.

يتحدّد معنى الإعاقة ثقافيّاً بنزع الصفة الطبيّة (**Demedicalize**) عن المُصطلح؛ إذ يفضّل أنصار حقوق الإعاقة المعاصرين معنى المعاق المُستخدم فيما يتعلّق بالأشياء على المعنى المُهيمن لفهمنا للأشخاص((حين يُستخدم مُصطلح مُعاق في سياق يتعلّق بالأشخاص فإنّ مُصطلحيّ "المُعاق"، و"الإعاقة" يميلان إلى الدلالة على مرض، أو علامة مرض، لكنّهما حين يُستخدمان فيما يتعلّق بالأشياء فغالباً ما يترادفان

=For more details: See :ATIEH, M2016-***The Liminal Epistemology Of Apocalyptic Disability in Augus Wilson's Joe Turner's and Gone and Fences*** .Tishreen University for Research and Scientific Studies ,Arts and Humanities Series,Vol.38,No(1).

[1] See:**IBId**.p348.

[2] كولمار ويندي، وبارتكوفيسكيفرانسيس2010– **النظريّة النسويّة (مقتطفات مختارة).** تر: عماد إبراهيم، مراجعة وتدقيق: عماد عمر، (الطبعة الأولى)، عمّان–الأردن ، الأهليّة للنشر والتوزيع ، ص444.

For more details see: ROSSO, M1994 -**The female grotesque :Risk ,Excess and Modernity.** New york, Routledge.

مع "انعدام الفاعليّة" ، مثلما هو الحال حين يتكلّم المرء على تعطّل وظيفة في جهاز الحاسوب في مثل هذه الحالات لدى المصطلح خصوصيّة تدلّ على انعدام قدرة الشيء على أداء وظيفة لايمكن أن تتساوق مع الأشخاص؛ إذ من غير المألوف كثيراً أن يتحدّث المرء عن شخص بوصفه معاقاً بأكمله، وليس الإشارة إلى ذراعه أو جهاز المناعة[...]))[1].

2-في علاقة تصوير الإعاقة بالأنثويّة(Femininity).

تعزّز المقاربة النسويّة للإعاقة الفهم المعقّد للتاريخ الثقافي للجسد، وتتجاوز مواضيع الإعاقة الصريحة من مثل: المرض، والصحّة، والجمال، والشيخوخة، وتكنولوجيات الإنجاب، والجراحة الترقيعيّة، وغيرها من الموضوعات، لتعالج هموم نسويّة واسعة النّطاق، بوصفها وحدة لفئة المرأة من مثل: حالة الجسد الحيّ، وسياسات المظهر الخارجي، وإضفاء الطابع الطبّي على الجسد، والتعدديّة الثقافيّة، والجنسانيّة، والتفسير الاجتماعيّ للهويّة [..][2].لا تتوقّف، إذاً، المُقاربة النسويّة على الإعاقة الصريحة الظّاهرة للعيان، بل تتعدّاها إلى معالجة الحالات المُضمرة غير الصريحة التي تمسّ حاجات نفسيّة، وعقليّة تُحاكي حساسيّة قضيّة المرأة، والمُصطلحات النسويّة المتفرّعة عنها من مثل: الأنوثة، والأنثويّة.

تجرّد النظريّة النسويّة الإعاقة من طبيعتها بعزلها الافتراض المهيمن على الأذهان بأنّ الإعاقة شيءٌ خطأ في شخصٍ ما، ويعنى بذلك أنّها تفعّل نقد الحركة النسويّة المطوّر والمعقّد للجنوسة **(Gender)**، وللطبقة**(Class)**، وللعرق **(Race)**، وللإثنيّة **(Ethnic)**، وللجنسانيّة**(Sexuality)** على أنّها أنظمة حصريّة وقمعيّة أكثر

[1] بينيت، طوني، وآخرون2010- **مفاتيح اصطلاحيّة : معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع**.تر: سعيد الغانمي،(الطبعة الأولى)،المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ص

[2] يُنظر: ***المرجع السابق***.ص442.

مـن كونهـا النّظـام الطبيعـي الملائـم للأمـور[1]؛ وللقيـام بـذلك تسـتخدم النظريّـة النسـويّة للإعاقـة مجموعـة مـن المقدّمات الأساسيّة منهـا التصـوير **(Representation)** الـذي يُنشـئ الواقـع الاجتمـاعيّ–النفسـيّ للـذوات المعاقـة ؛إذ يعـدّ الحقـل الأوّل للنظريّـة النسـويّة الـذي يمكـن أن يحلّـل الإعاقـة بعمـق، وينطلـق التصـوير مـن الفكـر الغربـيّ الـذي دمـج الأنثويّـة والإعاقـة بفهمـه أنّ كلتاهمـا نقـاط انطـلاق ذات خلـل مـن معـايير ذات قيمـة. فقد عرّف (أرسطو) النّسـاء علـى أنّهن(ذكـور مشـبوهون)؛ فـالمرأة بالنّسـبة إليـه تمتلـك شـكلا غير لائق، والنّسـاء مسوخ، أو مثلما تدعوهنّ (نانسـي توانـا) بالرّجال المشوّهين[2]؛ ولـذلك فـإنّ النّسـاء يصـبحن مسـوخاً أوليّـة فـي التـاريخ الغربـيّ، ويصـوّرن علـى أنّهـنّ مشـوّهات خلقيّـاً؛ نتيجـةً لمـا يُمكـن أن نسـميّه بالإعاقـة الوراثيّـة[3]. أمّا(فرويـد) فـزاوج بـين الأنوثـة والإعاقة بمعاينته جنسانيّة المرأة، ناعتاً جسد الأنثى بالأحجية[4].

الإطار النظري والدّراسات السابقة.

تعدّ الدراسات النقديّة الثقافيّة المكتوبة باللغة العربيّة التي تناولت مفهوم الإعاقة نادرة، لكنّ البحث يقارب المفهوم الطبيّ النفسيّ من منظور النقد النسوي؛ إذ تعدّ دراسة النّاقدين **وينـدي كولمـار، وفرانسـيس بارتكوفيسـكي** فـي النظريّـة النسـويّة مـن الدّراسـات القليلة التي سلّطت الضوء على مفهوم الإعاقة وارتباطاتها بالأنوثة، والجنوسة.

[1] يُنظر: كولمار ويندي، وبارتكوفيسكيفرانسيس2010– ***النظريّة النسويّة (مقتطفات مختارة).*** تر: عماد إبراهيم، ص444.

[2] See:TUANA,N1993-**The less Noble Sex :Scientific ,Religious and Philosophical Concepts of Women's Nature** .Indiana University press, p18.

[3] يُنظر: كولمار ويندي، وبارتكوفيسكيفرانسيس2010– ***النظريّة النسويّة (مقتطفات مختارة).*** تر: عماد إبراهيم، ص444.

[4] See: WELLDON, E ,V199- **Motherhood, Madonna ,Whore. The idealization and Denigration of Motherhood** .Karnac ,p2.

منهجيّة البحث.

يستعين البحث بالمنهج المُقارن[**] باتجاهه الثقافي العابر للتخصصات(Interdisciplinary) ؛ مُنطلقاً من توظيفه المقاربة النسويّة لتصوير الإعاقة (Representation) التي تعتمد على أنظمة القدرة (Ability) الجندريّة، والإيديولوجيّة، والعسكريّة التي تتحكّم في تمثيل الأجساد المعاقة، وتوصيف فاعليّتها، وأدائها الجندري.

ويعتمد البحث، أيضاً، على مقولتي التشابه والاختلاف في الاتجاه الروسي المُقارن؛ لتأويل نقاط التلاقي والافتراق الثقافيّة بين الروايتين انطلاقاً من البنية المجتمعيّة في الروايتين، وعلى المدرسة الأمريكيّة في تعالق النصّ الأدبيّ مع النظريّات الجندريّة، والنسويّة في تصوير إعاقة الأجساد الأنثويّة، التي تُعيد قراءة مفهوم الأنوثة المقيّد فيزيولوجيّاً في زمن الحربين الذّاتيّة الباردة، والعسكريّة السياسيّة.

عرض البحث، والمناقشة، والتحليل.

-تصوير إعاقتي-أنوثة (زهرة ،ومريم) في زمن الحرب الذاتيّة- الباردة.

إنّ الإعاقة إيديولوجيّة منتشرة، وغالباً غير مفهومة، تبلغ مفهومات ثقافيّة عن الذّات والآخر[1]، بمعنىً آخر إنّ المعنى المجازي للإعاقة يحيل إلى التكبيل الاجتماعيّ ، والعنف النفسيّ اللذّين يشكّلان إبستمولوجيا المجتمعات النامية المُنغلقةٍ دينيّاً، والمكبوحة اجتماعيّاً، والواقعة تحت النّزاع العسكريّ ، والصّراعين الإثنيّ، والقمعيّ تماماً مثل أحوال المجتمعين اللبنانيّ، والأفغانيّ اللّذين يشكّلان مهاد إطلاق الإعاقة، وتصوير كلّ من (زهرة، ومريم) مُعاقتين؛ لأنّهما حُرمَتان حتّى قبل اندلاع الحروب السياسيّة؛ إذ إنّ

[**] يقوم المنهج المقارن في البحث على تقرّي أوجه التشابه والاختلاف بين الروايتين المدروستين بالاعتماد على مقولات النقد الثقافي والدراسات الثقافيّة، ويعدّ استراتيجيّة يتوسّل بها البحث لتأويل مفهوم الإعاقة ثقافيّاً.

[1] يُنظر: كولمار وينـدي، وبارتكوفيسكيفرانسيس2010- **النظريّة النسويّة (مقتطفات مختارة).** تر: عماد إبراهيم،ص442.

التحقيق في الجنوسة منذ (سيمون ديبوفوار) أظهر كيف يتم تعيين النّساء بمجموعة من الإسنادات التي تميّزهنّ على أنّهن الآخر من جهة[1]، فضلاً على أنّ السمات المترابطة التي يُحيل إليها الآخر؛ أي المرأة هي ذاتها السّمات المفترضة الملتصقة بأشخاص مُعاقين[2]؛ وهذا ما يمكن أن يحدّد إعاقتي (زهرة،ومريم) في تصوير أجسادهما المُستعبدة، أو المقهورة على أنّها ناقصة، أو مُسرفة[3]؛ وذلك وفق الآتي:

أ- الجسد النّاقص(زهرة): البثور والوزن الزائد.

ربّما تكون البثور والوزن الزائد علامات فيزيولوجيّة دالّة على تغيّرات هرمونيّة، وتقلّبات مزاجيّة تصاحب مزاجيّة الأنثى في زمن الحرب، ولاسيّما أنّ (زهرة) عاشت قبل اندلاعها تجربة إعاقة نفسيّة عادت فيها من إفريقيا- المنفى إلى لبنان- الحصار، منتكسة النّفس((لقد كانت أفريقيا بئراً عميقة لرمي سرّي المهترئ. لكنّني عدّت مهترئة ونصف إنسانة))[4] في مجتمع عصابيّ مثّله خالها المتحرّش الذي رأى فيها امتداداً وجوديّاً لوطنه المحروم الذي طرده إلى الأبد ، وزوجها(ماجد) الذي اكتشف أمر عذريّتها وكبح سرّها؛ لأنّه يعدّ الزواج من امرأة مثلها مقايضة كولونياليّة(استعماريّة) لرجلٍ منفيّ سياسيّاً من منطقةٍ منفيّة في وطنه (لبنان) ، وينتمي إلى طبقة دُنيا رأى بالزواج ارتقاءً طبقيّاً.

تؤكّد المقاربة النسويّة أنّ طريقة التعامل هي من تجعل الجسد معاقاً[5]؛ (فأمّها) التي من المفترض أنّها الأقرب إليها، والأدرى بأحوالها، ترى شكلها إعاقة بدنيّة- اجتماعيّة دامغة تمنعها من أن تكون أنثى(([..] كانت تعبّر عن غضبها، ومضايقتها

---

[1] See :DEBAUVOIR ,S1972-**The Second Sex**.Trans .H.M Prashley, Vintage Press,,P133.

[2] يُنظر: كولمار ويندي، وبارتكوفيسكيفرانسيس2010- **النظريّة النسويّة (مقتطفات مختارة)**، تر: عماد إبراهيم ص446.

[3] يُنظر: **المرجع السابق**،ص446.

[4] **المرجع السابق نفسه**،ص146.

[5] يُنظر: **المرجع السابق نفسه**،ص 446.

بتوجيه كلمات قاسية ومعيبة تتناول بثوري وجنوني[..])).[1] لا تستطيع(زهرة) برأي (أمّها) ممارسة حياتها على نحوٍ طبيعيّ تجذب فيه الرّجال الذين يعدّون متمّماً لحياتها كامرأة، ولاسيّما أنّها عادت إليها مطلّقة؛ هذا ما يذكي التمثيل البطرياركي للأمّ التي تخشى عنوسة ابنتها في مجتمع لبنانيّ ذكوريّ يقيّد المرأة التي لا يسندها رجل.

أمّا الأهل والأقارب فقد أدّوا دور المتطفّلين خلسةً على عالم (زهرة) عقب وصولها من إفريقيا((أصبحت وحيدة مع البثور والرّوب الذي لا أخلعه أبداً. ربّما حالتي هذه جعلت الاهتمام بي لا يتوقّف عندي لحظة))[2]؛ فالشخصيّة تعي جيّداً أنّ جسمها معلول بالنسبة إليهم، لكن الذي أثار استغرابها أنّ تلصّصهم على حياتها الشخصيّة سببه مأزقيّة شكل جسمها الذي بات عورة ، وكأنّهم هم الأصحّاء وهي المريضة، أو بتعبيرٍ أدقّ كأنّ البثور، والوزن الزّائد مرضان نادران اسمهما (زهرة) المختلّة نفسيّاً، العائدة من المنفى؛ هذا ما جعلها تقصيهم قبل أن يقصوها بنظراتهم التي تصوّرها تعاني مرضاً سارياً، ومعدياً.((بل سددت الأبواب أمام كلّ من حاولت أن تتحاور معي، وتقيم علاقة عاديّة، كالجارة وجارتها. والقريبة وقريبتها))[3].

تقول (زهرة) بسخط: ((كنت أحقد على كلّ البشر بمن فيهم أقاربي الذين ما عدت أستطيع إجراء حوار معهم ولو بعبارة: أهلا كيفك، منيحة؟ كنت أشعر أنّهم يهزؤون بي بسبب تلك البثور وتلك السمنة.))[4].

تنتقد الشخصيّة بؤس النّاس في تقييمهم إيّاها جسداً مزرياً، لا جسداً مُرهقاً أنهكه الهمّ والتعب النفسيّ الذي عاشته في (إفريقيا)، وحيدة بعد انكشاف عقد خالها

---

[1] كولمار ويندي، وبارتكوفيسكي فرانسيس2010– ***النظريّة النسويّة (مقتطفات مختارة)***، تر: عماد إبراهيم ،ص146.

[2] الشيخ حنان 1989 –**حكاية زهرة**، (الطبعة الخامسة)، دار الآداب، لبنان، ص146.

[3] **المصدر السابق**، ص146.

[4] **المصدر السابق**، ص146.

النفسيّة الذي وثقت فيه أكثر من نفسها، خائفة من أسرار جسدها التعيس المثخن بعقد الطفولة المُستلبة منذ لحظة خيانة والدتها لأبيها، وتعرّضها للتنمّر اللفظي، والانتهاك الجسدي، وفقدانها عذريّتها ؛إذ تقلب (زهرة) سؤال الإعاقة الجسديّة، لتفضح عقم القائمين على تصوير جسمها مُعاقاً في بيئتها المحليّة اللبنانيّة، وكيف أصبحت شاذّة عن العقليّة الأنثويّة النسقيّة بقولها: ((لم يحاول أحدهم الدّخول في صميمي ليفتّش عن معدني، بل كان اهتمامهم ينحصر بالمظهر. وها أنا أتدهور بشكلي وهندامي)).[1]فهل تقرّب منها أحد المصوّرين للإعاقة، وأُثبت له أنّ مكنونها الداخليّ ، وسلوكها يُشبهان شكلها الثقيل والعصيّ عن التصوّر الاجتماعيّ؟!

ب–**الجسد النّاقص (مريم و عار العقم).**

يتطوّر مفهوم إعاقة (مريم) الجسديّة منذ لحظة إجهاضها، عقب زواجها بفترة قصيرة؛ إذ يقترن فشلها في أن تكون أمّاً بالعار الذي ألحقته بوالدتها(نانا) عندما تخلّت عنها، وهربت إلى والدها (جليل) ظنّاً منها أنّ كلّ ما أخبرتها إيّاه عنه مجرّد كذبٍ تخترعه كي تبقيها في كنفها.((في بعض الأيّام: اعتقدت أنّ الطفل نعمة لا تستحقّها، وبأنّها تعاقب لما فعلته بنانا، ألم يكن صحيحاً بأنّها ربّما تكون بما قامت به، هي التي وضعت الأنشوطة حول عنق أمّها بنفسها؟! وأنّ البنات الخائنات لا يستحقن أن يصبحن أمّهات، وأنّ هذا عقاب فقط)).[2]

يتضمّن شعور (مريم) بجسمها المُعاق في طوره الفتي فكرة النّاقدة النسويّة (سيمون ديبوفوار) عن الإجهاض، بوصفه ((جريمة مقزّزة يحول على الشرف من دون التلميح به))[3]؛ فيُشير وصفها إلى ذهنيّة المجتمع الأفغاني الذي يزخر بموضوعي الشرف، والعار؛ هذا ما جعلها ترى أنّها لا تستحق الأمومة؛ لأنّها خانت المنظومة

[1] الشيخ حنان 1989 –**حكاية زهرة** ،ص146.

[2] ALHOSSINIE,K. **A 2009- Thousand Splendid Suns**. P104.

[3] ديبوفوار، سيمون. **الجنس والآخر**، نقله إلى العربيّة : لجنة من الأساتذة، ص 221.

التربويّة التي تربّت عليها، ويدلّل على وظيفة (نانا) أم (مريم) في تصويرها مُعاقة الجسد، ومذنبة نالت جزاءها بفقدانها طفلها، رغم أنّها متوفّاة، لكنّ تأثيرها يكمن في تصالح ابنتها(مريم) مع حقيقة أنّ جسمها الضعيف يستحقّ الاختراق مثلما كانت تكذّب دخول الجنيّ إلى جسم (أمّها)؛ لأنّها لم تسلّم بأنّ ابنة غير شرعيّة مثلها لا يُمكنها أن تعيش حياةً طبيعيّة، لولا سُميّة الأفكار التي غذّتها بصادّات مُستقبليّة، قاومت(مريم) تجرّعها، وفي هذا الصدد تُشير النّاقدة في أنثروبولوجيا المجتمع الأفغاني (سوزان كريجر Susan Kriegers)أنّ الأمّهات هنّ من يلقنّ أولادهنّ الأفكار السيئة، ولاسيّما بناتهن[1]؛ لأنهنّ يعرفن المجتمع مثل معرفتهنّ الفطريّة بأجسادهنّ، وعند المخالفة تكون العاقبة إثم الخسارة .

توطّد معاملة (رشيد) إعاقة (مريم) الجسديّة، كأنّها كائن حيوانيّ، أو متاع ساديّ.((لم يكن من السهل أن تتحمّل الطريقة التي يتكلّم بها معها، احتقاره لها، وسخريته منها. أن يمرّ بجانبها كأنّها لا شيء أو كأنّها قطّة))[2]؛ إذ يتخيّل (رشيد) أنّ (مريم) ارتكبت الإجهاض عمداً، وينفي عنها رقّة جسدها، ويفاعة تجربته، وطاقة احتماله، وأنّها مجرّد طفلة زُوّجت إلى وحش مثله، بل يرى فيها روحاً ملعونة، ويقدّمها صورة عن المرأة التي تشعر بأنّها مخطئة؛ لأنّها ارتكبت الإجهاض بملء إرادتها، وأخذته على عاتقها، وكأنّ (مريم) الطفلة التي أصبحت شابةّ في نهاية عقدها الثاني تعيش عذابات تداخل الألم ،والخطيئة بإحساسيهما الشاهقين والمُرهقين[3]، ودليل ذلك صمتها، وعجزها أمام جبروت عنفه. ((لكن بعد أربع سنواتٍ من الزواج، رأت مريم بوضوح كيف يمكن لامرأة أن تتحمّل عندما تكون خائفة حقّاً من طباعه المتقلّبة، مزاجه العنيف، إصراره على

[1] KRIEGERS, S1996- **The family Sliver, Essays on Relationships among women.** Berkeley University Of California Press ,84.
[2]ALHOSSINIE,K. **A2009- Thousand Splendid Suns**. P110.
[3] ديبوفوار، سيمون. **الجنس والآخر**، نقله إلى العربيّة : لجنة من الأساتذة، ص 226.

الحيوانيّة حتّى المشاجرات التافهة التي تحدث في المواجهات الضروريّة بينهما، كان يحلّها باللكمات، الصفعات، الرفسات)).[1]

يُعلن جسد (مريم) المخذول عن موت الكفاءة الأنثويّة بعد أربع سنواتٍ من حادثة الإجهاض رغم المحاولات الطبيّة في علاجه((خلال أربع سنوات منذ حادثة الحمّام،كان هناك ست دورات بعثت الآمال وتحطّمت، كلّ خسارة، وكلّ انهيار، كلّ رحلة إلى الطبيب، كانت تحطّم مريم أكثر من الأخرى.ومع كلّ خيبة يبتعد رشيد أكثر ، ويصبح أكثر استياءً، لايمكنها فعل شيء كي تسعده ، كانت تنظّف المنزل، وتحرص على أن يكون لديه قمصاناً احتياطيّة نظيفة، وتطبخ له أطباقاً مفضّلة))[2].

يعني موت الكفاءة الأنثويّة لدى زوجها (رشيد) عقم الرّحم الذي سيجلب له الذّكر؛أي إماتة أمومة(مريم)، وإعاقتها عضويّاً؛ هذا ما تصوّره (سيمون دي بوفوار) بقولها:((لا تستكمل المرأة مصيرها الفيزيولوجي إلّا بالأمومة؛ وهذا استعدادها الطبيعي؛ لأنّ كلّ عضويّتها موجّهة نحو إدامة النّوع))[3]، تُصوّر (مريم) أنّ نسلها انقطع، وكأنّها قد جفّفت منابع الاستمراريّة في العالم كلّه، فقد وسمها (رشيد) بالهجر المعنّد، والإقصاء المتعمّد.((لسنواتٍ كان لايأكل ولاينظر إلى أعلى من دون كلام صمته يُدينها. على الرغم من بعض الأحكام التي بتّ فيها، ولايكسر هذا الصمت إلّا صوتٌ اتهامي جديد أو طرطقة مستهجنة من لسانه، كلمة تأمر ببعض الخبز أو بمزيدٍ من الماء)).[4]

-نظام القدرة(Ability)، والإعاقة (Disability)، وأوهام التصوّرات.

إنّ نظام القدرة/ الإعاقة((يعزّز ذوات بوساطة تمييز الأجساد وتحديدها، وعلى الرّغم من أنّ هذه المقارنة للأجساد هي إيديولوجيّة أكثر منها بيولوجيّة، فإنّها مع ذلك

[1]ALHOSSINIE,K. **A2009- Thousand Splendid Suns**. P110.
[2] **IBId**.p110.
[3]ديبوفوار، سيمون. **الجنس والآخر**، نقله إلى العربيّة : لجنة من الأساتذة، ص 221.
[4] ALHOSSINIE,K. **A2009- Thousand Splendid Suns** .P217.

تنفذ إلى داخل تشكيل الثقافة، مُضيفة الشرعيّة على التوزيع الجائر للموارد، والمراكز، والسلطة داخل بيئة اجتماعيّة وعمرانيّة متحيّزة))[1]؛إذ يُثير تمييز جسدي (زهرة، ومريم) سؤالاً عن طبيعة الذهنيّة المسؤولة عن تعزيز تصويريهما المفرط بالإعاقة؟ مع العلم أنّ بثور (زهرة) وسمنة جسمها، وعزوف (مريم) عن الإنجاب ليست عوائق فيزيولوجيّة تحول دون ممارسة ديناميّة الحياة في مجتمعاتٍ أخرى، لكنّ مضمرات مواقف تصوير الأجساد في النصّين، تصطنع انتهاكاً لحساسيّة أنوثة (زهرة) المنعزلة في منزل والدتها، وأنوثة (مريم) الوحيدة في منزل (رشيد) في سياق النّزاع الذكوري–العُصابيّ الذي تعيشان فيه أزمة حربيهما الذّاتيّة؛ ممّا يقدّم جسميهما مقولبين لشكلٍ ومهمّة ملفّقة فرضتها ذهانيّة تعلّقات (Psychosis) المُصوّرين.

يظهر الذّهان مثلما يحدّده (فرويد) حين((تقوى الدوافع الغرائزيّة حيث لا يستطيع المرء السيطرة عليها؛ فيصبح اصطدامه بالواقع أمراً محتوماً))[2]؛ إذ يتّضح أنّ استيقاظ غريزة الأمومة المتأخّرة–إن جاز التعبير– هي التي هوّلت من إسفاف عبارات ذمّ (أمّ زهرة) لابنتها؛ نتيجة ردّة فعل عكسيّة على سلوكٍ قهريّ مُشابه كانت تسلكه (زهرة) في طفولتها، بينما هي صمّاء، تشارك والدها توبيخها عند نبشها البثور التي شوّهت وجهها، تقول الكاتبة:((لازمتني هذه العادة السيئة زمناً طويلاً. وكان أبي يجنّ جنونه كلّما ضبطني واقفة أمام المرآة أفتح البثور النّائمة، فإمّا أن يصفعني على وجهي، أو يصيح بأمّي في هزء شديد: يوم السعد يوم تتزوّج زهرة...))[3]. تظهر (أمّ زهرة) كأنّها نادمة على عدم عنايتها بموضوع بشرة (زهرة)، التي بنت بها حاجزاً قهريّاً مع العالم الخارجيّ؛ لأنّ

---

[1] كولمار وينـدي، وبارتكوفيسكي فرانسيس2010– **النظريّة النسويّة (مقتطفات مختارة)**، تر: عماد إبراهيم،ص443.

[2] فرويد، سيغموند. **الموجز في التحليل النفسي**. تر: سامي محمود علي ، عبد السلام قفّاش، مراجعة: مصطفى زيوار، ص134.

[3] الشيخ حنان،2009–**حكاية زهرة**. ص27.

والدها رآها مسخاً مقزّزة بمعايير الجمال، فلن تجد زوجاً يرضى بها في المستقبل، مع العلم أنّها كانت فتيّة كفاية لتُتصت إلى مثل هذا النوع من الأحاديث الخادشة للطفولة ؛ لذلك جاء توبيخها على هيئة صراع تلوم به انشغالها بنزواتها التي أدركت أنها انحرافٌ عن النسق الثقافي للتربية التي تتشابه معاييرها مع معايير الجسد الأنثوي؛ فهي لا تريد لابنتها أن تكون مُعاقة جسديّاً على شاكلة إعاقتها لأعراف تربيتها التي خرقت فيها حدود ثقافة المجتمع اللبناني المحافظة؛ لذا عندما لاقت أنّ الأوان قد فات ولايمكنها تصحيح غلط توعية(زهرة) صحيّاً ونفسيّاً، ولا تطيق احتمال خسارة ابنتها من جديد، استفاضت في تقبيحها محاولةً استعادة سلطة الأمّ المربيّة لا البيولوجيّة.

أمّا مفهوم ذهنيّة (رشيد) الذّهانية فقائمة على غريزة حفظ السلالة التي انحرم منها بعد موت ابنه الوحيد غرقاً.((هل سمعتم كيف مات ابنه؟ [...] غرقاً ..أليس كذلك ؟[...]هل علمتم أنّه اعتاد الشرب عندها، وأنّه كان يبكي وهو ثمل ذاك اليوم؟!يُمكنكم تخيّل البقيّة...ذهب الولد إلى الماء من دون أن يلاحظه أحد.ثمّ وجدوه بعد فترة، يطوف وجهه مقلوباً إلى الأسفل..)).[1] لقد جاءت هذه الحادثة القاهرة قبل سنوات قليلة من زواجه (مريم)، وعندما فشلت بذلك بعد أوّل إجهاضٍ لها، وعزوف جسمها عن الإنجاب تحوّل(رشيد) إلى كائنٍ مخذول مثل خذلان (مريم)، لكنّه رفض أن يخضع ؛ لأنّه رجل يحقّ له إحياء ذكوريّته التي دفنت عند غرق ابنه ؛ فنبذ (مريم) وشوّه حياتها؛ لأنّه عدّها خائنة لفحولته ، وعقيمة عن تحرير أنوثتها؛ لأنّها لم تُنجب، فحكم عليها بالخطيئة مثقلاً حملها بمأساة هدر فحولته التي لن تسترجع طفله المُجهض، ولا ابنه الذي غرق، ومأساة جسمها العاقر في مقابل أن تظلّ شهوته الذكوريّة يقظة، ودليل ذلك بحثه عن زوجة.

يتبيّن أنّ ذهانيّة (أم زهرة) في تسويقها لجسم (زهرة) اللامعياريّ، و ذهانيّة (رشيد) في مسخ أنوثة (مريم) تُحرّضان ذاكرة حيّة على هيئة انفعالات نكوصيّة غايتها

[1] ALHOSSINIE,K. **A2009 Thousand Splendid Suns.** P233.

إثبات أنّ إعاقة الجسد الأنثويّ تتجلّى عندما تلد المعايير التي تتوّلى عمليّة زجّه بأوصافٍ وهميّة تمّ التعارف أنّها تُرضي شرائح أيديولوجية ، تراها مقياساً غير قابل للطعن ،وعند خرقه تُدان الأطراف كلّها؛ هذا ما يعلّله تأخّر بزوغ عاطفة الأمومة لدى (أم زهرة)، فكلتاهما الأمّ والفتاة مُعاقتان؛ لأنّهما تُركتا بلا وازعٍ نسقيّ أنثويّ مبكّر، ومثلها عاطفة أبوّة (رشيد) التي عكست حرماناً مدمّراً جرّاء فقد الابن، يشبه حرمان (مريم) من نعمة الأمومة التي ظنّت أنّها ستعوّضها عن سنيّ العذاب، وفقدان(نانا) المدمّر.

- معيار إعاقة الأنوثة في زمن الحرب.

المعياريّ(Normal) هو((الاعتيادي، والمعدّل الوسط، والمألوف.[..] والمعياريّ أيضاً مرغوب فيه؛ إذ مَن سوى المنحرف يريد أن يكون خارجاً عن السويّة (Abnormal)؟ والمعياري هو الصحيّ[...]، والمتوقّع ؛لأنّ غريب الأطوار، أو المتمرّد وحده لا يرغب في الانصياع لمعايير السلوك السّائدة))[1]،وتعدّ الحرب عنفاً غير معياري غايتها قلب القوى وتغييرها؛ إذ تُثير مسألة إشكاليّة مُعايرة إعاقة الهويّات الأنثويّة في زمن الحرب العسكريّة قضيّة سقوط المعايير الجسديّة أمام الانتهاكات العسكريّة، والسياسيّة.

يُعتقد أنّ تشبّع(زهرة، ومريم)بدونيّة جسميهما الأنثويين، صوّر مهمّتيهما الثقافيّة في زمن الحرب كاستعارة مجازيّة للأشكال التي تعدّها الثقافة لا معياريّة، أو شاذة عن القاعدة، أو غير سوية[2]، بغض النظر عن تباينات استجابات الشخصيّتين للتصوير، أو رفضها، فكلتاهما(زهرة، ومريم) تعيان سلبيّة موقعيهما بعين ذاتيهما، ومُغايرتهما حدّ الإقصاء بعين الآخرين؛ أي (أمّ زهرة والمقرّبين حولها، ورشيد).

---

[1] بينيت،طوني وآخرون2010 **معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع**، **مفاتيح اصطلاحيّة** ،تر: سعيد الغانمي،(الطبعةالأولى)،المنظمة العربية للترجمة، بيروت،2010، ص642.

[2] كولمار ويندي، وبارتكوفيسكي ، فرانسيس –2014 **النظريّة النسويّة (مقتطفات مختارة)**، تر: عماد إبراهيم،ص442.

تلـذّذت (زهـرة) بطقـس الحـرب العبثـي ، واستشـعرت الاسـتقرار النفسـيّ قائلـة: ((أرتـاح عنـد سـماعي أنّ المعـارك ضـارية، والجبهـات مشـتعلة كلّهـا. معنـاه أنّ حـدودي تقرّرت ضمن هذه الجدران .ها أنا في راحةٍ مع نفسي وفي اطمئنان، هذا الجوّ جعلني مطمئنّة. هذا المنطق مريض، كنت أقول لنفسي. نومي عميقاً هو مرض، تناولي لهذه الكميّة الهائلة من الأطعمة هو مرض، ازدياد وزني واكتفائي بارتداء الروب لمدّة شهرين هو مرض. البثور التي تكاثرت حتّى انتشرت في كلّ أنحاء وجهي ورقبتي، وأعلى كتفي، وعدم مكافحتها جديّاً هو المرض)).[1]

يبدو أنّ الحرب استحوذت على ذهنيّة (زهرة) استحواذاً نفسيّاً– تعويضيّاً قوّض معايير جسمها المهزوم ثقافيّاً بتجاربه السابقة؛ إذ أنعشت ساديّة الحرب التهديميّة فضاء جسدها الذي أوجس تحرّره من قواعد البطرياركيّة التي سنّت معايير الأنوثة الذين قدّسوها (أمّهـا، والأقارب)،بيـد أنّ(زهـرة) ضـربتها عـرض الحـائط؛ متلـذّذة بإحساسـها المرضي(Pathological) بوجهها المحفور، وبطقوس نومها، وازدياد وزنها؛ لأنّ غرابة مناخ الضرب العسكريّ اللبنانيّة لا يقلّ غرابةً عن عنصريّة نعت أقرب المقرّبين إليها شكل جسمها بالمُغايرة، والانسلاخ عن السائد[2].

تفقد الإعاقة تقييمها المُقيّد لجسد (زهرة) فقداناً شبيهاً بسلب الحرب الأمان، وتقييدها والديها في فضاء زوايا المنزل خائفين ، ومُحتمين ببرودها في مواجهة أهوال الصواريخ المنهالة على منزلهم، تقول (زهرة) : ((الإحساس بهول ما يجري، والشعور بالخوف والرّجاء معاً بأن تتوقّف الحرب. كانا يقرّبانني من أمّي ووالدي اللذين شعرا للمرّة الأولى بأنّي لم أعد جنيّة، خاصّة أنّي عدت إلى قراءة الجرائد بلهفة وبعصبيّة كما كانا

[1] الشيخ حنان 1989– **حكاية زهرة**،ص145.

[2] See: MARRY ,R .**The female Grotesque .Risk ,Excess and Modernity** ,Routledge,11-13.

يفعلان من قبل عندما كنت مطمئنّة وساهية ، مكتفية بأنّ أيّام الذّعر قد قرّرت مجرى حياتي)).[1]

لم تعد (زهرة) تلك الجنيّة العصابيّة الهيستيريّة، ليس لأنّها عالجت البثور، أو قامت باتّباع حمية غذائيّة قاسية، ولكن لأنّ خوف والديها من الحرب خفّف هيمنة المعايرة في مقابل عقلانيّة مواجهتها خوفهم من الحرب، وصدّهم عن تناولها جسماً مأزوماً؛ وذلك ببرودة هيجان سلوكها غير المعتاد بتقليدها عادة قراءتهم الجرائد في زمن الحرب، محرّكة أذهانهم الرّاكدة خوفاً من كآبة قادمات الأيّام، ومُحوّرة لنكوصيّة موقفهم الحياديّ من ذعرها المتكدّس؛ بسبب إهمالهم لحالاتها النفسيّة في زمن طفولتها عندما كانت الأمّ تذهب إلى عشيقها، والوالد يصبّ غضبه على ابنته البشعة؛ أي جعلتهم ينجذبون إلى عقليّتها بحذر العارف نقاط ضعفه التي لا يستسيغها، ولكن يعيها.

إذا كانت أجواء الحرب اللبنانيّة قد عكّرت رتابة أيّام أسرة(زهرة) التي صبّت أوهامها، وذهانيّتها المحمّلة بأفكارٍ معقّدة عن مصيرها الأنثويّ عقب عودتها من إفريقيا؛ ممّا صوّرها قد حرفت عيونهم عن جسدها إلى أدائها العقلانيّ عند اشتعال الحرب، فإنّ (مريم) ظلّت أسيرة عقليّة (رشيد) الذكوريّة، والمستبدّة التي تواطأت مع الحرب، ولاسيّما عند اشتداد القتال بين القائدين الأفغانيين (حكميتار، والسيّاف)؛ أي بين (المجاهدين)، والمؤيّدين للجانب (السوفيتي)؛ ممّا كانت إحدى عواقبه انفجار صاروخ في منزل (ليلى) الفتاة التي كانت تحملها (مريم) في طفولتها، ليحوّلها (رشيد) إلى ضرّة لزوجته الميّتة بيولوجيّاً (مريم).

لقد كرّست الحرب معايير حادّة أعادت تقييم إعاقة أنوثة (مريم)، معايير عنصريّة قرّرها (رشيد) الذي استغلّ صبر شهوته المكبوحة لسنينٍ، وتزوّج الفتاة (ليلى) بحجّة معيار الشرف(Honor)الذي شرّع له (ليلى) في زمن الحرب؛ بحجّة أنّها فتاة

[1] الشيخ، حنان،1989–**حكاية زهرة**،ص149.

وحيدة في منزله نجت بأعجوبة من بين أفراد عائلتها الذين توّفوا، وشرعن له نبذ (مريم)، وتحويلها إلى خادمة في منزل الزوجيّة.((سترين بنفسك ياليلى جان. إنّها قويّة، لشيء واحد، إنّها عاملة جيّدة من دون حجج. سأقولها بهذه الطريقة: إذا كانت سيّارة، فإنّها فولغا)).[1]

إنّ تشبيه (مريم) بالسيّارة العاملة يُحيل إلى مقاربة النسويّة الماركسيّة مابعد الكولونياليّة التي تربط الأمومة(Motherhood) بالبُنى الاقتصاديّة ، والعرقيّة، المتعلّقة بالأنظمة الرأسماليّة، والاستعماريّة، والبطرياركيّة[2]؛ إذ يمنح (رشيد) الرّجل الذكوريّ المتعصّب لباشتونيّته، (مريم) دوراً يليق بموتها الفيزيولوجيّ، وهو (العاملة)؛ الذي يتوافق مع واقع الشحّ الاقتصادي الذي يعيشه في (كابول) المحتلّة بقوات متصارعة، يحتفي بها كونها تذكي عصبيّته القبليّة، وقهريّة فحولته في الاستمتاع بالنّزاع السياسيّ حوله.

إنّ مقاربة عقم (مريم) بمفهومي العاملة في منزل الزوجيّة، و تشبيهها بالسيّارة التي تمتلك محرّكاً ميكانيّاً، عوضاً من الرّحم المعطوب، يقرن مفهوم (رشيد) عن جسدها(المعاق) بأنظمة الإنتاج؛ إذ تؤكّد النسويّات الماركسيّات ما بعد الكولونياليّات أنّ الأمّهات: البيولوجيّة، والاجتماعيّة أشكال إنتاج تُتمّم، وتحافظ على أنماط الإنتاج: الرأسمالي، والبطرياركي، والاستعماريّ، وعلى بنى السلطة التراتبيّة المتأصّلة فيها. يمكّن إحالة المرأة والأمومة إلى نطاقٍ إنتاجي يبدو ظاهريّاً غير منتج من السيطرة على حياة المرأة، والولادة البيولوجيّة والاجتماعيّة، ويسمح لتلك الأنظمة باستغلال النّساء لأغراض اقتصاديّة، وديموغرافيّة، ووطنيّة، وسياسيّة أخرى[3]؛ أي أدرك (رشيد) كيف يستفيد من (مريم) اللامنتجة أنثويّاً، في زمن الحرب المعيق لاستمراريّة الحياة الآمنة، والمستدامة؛ لذا حرص على قهرها لأنّها تُشبه بقطعها نسله الحرب الأفغانيّة المجدبة؛ وهذا ما يعكسه

[1]ALHOSSINIE,K. **A2009 Thousand Splendid Suns.** P228.
[2] See: GINSBURG,FAYE,D and RAYA, R,eds1995-***Conceiving a new world order :The Global Politic OF Reproduction***. University of California University Press ,Brekly, p22.
[3] See:I**BID**.P23.

موقف (مريم) النفسي لحظة سرور (رشيد) عند حمل (ليلى)، يقول الكاتب: ((عندما باغت رشيد مريم بالخبر بصوت عالٍ، دراميّ لم تشهد ليلى من قبل تلك الفظاظة السّارة ...رفّت رموش مريم عندما سمعت.احمّر وجهها ، جلست واجمة تبدو مهجورة))[1].

تعكس حالة الهجر التي شعرتها (مريم) وهم معايير المركزيّة الفحوليّة التي يمثّلها (رشيد) لسببين، أحدهما: نفسيّ–جندريّ؛ تفسّره آليّة إدراك الأجساد الأنثويّة عبر شبكة، متقلّبة ومتناقضة من الترميز الجنسيّ العتيق، ومن ردود أفعالنا، والاستجابات السياسيّة المضادّة[2]؛ إذ تعدّ جميعها معايير الحرب التي شنّها (رشيد) على زوجته (مريم) التي صدّقت نفسها أنّها ملعونة؛ لأنّها لم تنجب طوال سني حياتها معه. أمّا السبب الآخر الذي تفضحه المعايير فهو الترميز الكولونيالي–البطرياركي؛ لأنّ (رشيد) تزوّج (ليلى) وهو يدرك أنّها أخفت موضوع عذريّتها، حتّى إنّه أقنع نفسه أنّ الطفل المنتظر هو طفله، بعد تلفيقه موت (طارق)، حبيب (ليلى) في إحدى المخيّمات، ويُعزى ذلك بعقدة رشيد الذكوريّة التي تتضافر مع انتمائه الإثني– العنصريّ الذي فرّغ فيه رغبته أيضاً في استثمار جسد (ليلى) اليانع كي يُنجب له الذكر في زمن الحرب، وبذلك يستحوذ على جسد فتاة (هازاريّة) استعماراً يُهين إرث والدها الشيوعيّ.

يُستنتج من دراسة إعاقتي (زهرة، ومريم) الجسديّتين أنّ اصطناع العار(Shame)هو معيار الإعاقة في زمن الحرب، وتشير النّاقدة النسويّة(سارة أحمد Sara Ahmed) أنّ العار ليس عاطفة، بل هو انكشاف ما يرى فيه الآخرون أنّ ما فعله المرء سيّئ؛ لذلك هو مُعيب. ويتضمّن معنى العار أيضاً محاولة إخفاء أمرٍ ما، إخفاءً يسترعي الذّات أن تتصرف من نظرة الآخرين إلى ذاتها[3] ؛ وهذا ما يُحاكيه تعدّي ما هو معياريّ على

[1]ALHOSSINIE,K. **A2009 Thousand Splendid Suns**. P234.

[2] ينظر: كمال د.هالة،2016– **النقد الأدبيّ النسوي**، (الطبعة الأولى)، مؤسسة المرأة والذاكرة ،2015،ص223.

[3] See: AHMED,S2014- **The Cultural Politics Of Emotion .**Edinburgh University Press, ,P103.

فاعليّة موقع الذّاتين الأنثويتين اللّتين تعيان أنّ خرقهما معيار الثقافة الذكوريّة هو عارٌ، ولكن إلى حدٍّ ليس الأقصى؛ (فزهرة، ومريم) تعلمان أنّ جسديهما ليسا معياريين؛ لأنّ الأولى ليست ممشوقة القوام، ومطلّقة ،والثانية ليست إنسانة شرعيّة، وأمّاً بيولوجيّة. لكن ما تودّان إثباته هو أنّ استحالة جسديهما عن إرضاء الآخرين، يُثبت سخف محاولات مشرّعي الإعاقة في زمن الحرب عن إثبات فاعليّتهم من دون ممارسة دور المصوّرين؛ إذ أثبتت (زهرة) من خلال النصّ أنّ أمّها وأباها لم يؤدّيا دور الأمومة والأبوّة، بل انشغلا بإهلاكها بجسمها العصيّ عن التغيير، وكذا (مريم) فضحت غشّ المعايير التلفيقيّة التي أغرق (رشيد) نفسه في غياهبها حتّى يتمكّن من اقتناص ديمومة فحولته أمام عقم أنوثتها، وفي كلا الإثباتين يكمن العار في انكماش التصويرات الجسديّة للإعاقة في زمن الحرب العسكريّة حيثُ أزاح أبوا (زهرة) تركيزهما عن بثورها، ووزنها، وإفريقيا؛ لأنّهم خافوا على سلامتهم من الصواريخ، والغارات الجويّة، ودليل ذلك أنّهم قرّروا الذهاب إلى (الجنوب)، هرباً من جوّ(بيروت)، أمّا تقرير (رشيد) عن عقم (مريم) رغم أنّه لم يكن وصفاً مباشراً، أو طبيّاً، فقد تحوّر تركيزه من قمعها إلى البحث عن وظيفة لمكانها في حياتهما الزوجيّة الوهميّة.

خاتمة.

–تُثبت الحروب الباردة التي خاضتها الذاتان الأنثويّتان أنّ الأنوثة موقع ثقافيّ هويّاتي، مُسبق الإعاقة؛ لأنّ إساءات التربية الذكوريّة التي سنّت معايير إعاقة الجسد، تصوّره سافراً، ومعرّضاً للإعاقة اللفظيّة الدّائمة.

–إنّ لا ملاءمة الأجساد الأنثويّة الفيزيولوجيّة للمعايير الذكوريّة النسقيّة تفضح نكوصيّة الذهنيّات المصوّرة سواء أكانوا رجالاً أم نساء، التي يُفترض أنّها في طور الإعاقة الاجتماعيّة–النفسيّة بسبب استحواذ المركزيّة الثقافيّة الفحوليّة على عقولهم.

–تتّسم معايير الإعاقة الأنثويّة في أزمنة الحرب العسكريّة بأنّها معايير مُغايرَة لا أنظمة قدرة ، وقوّة؛ لأنّ انشغال الأطراف المصوّرة في زمن الحرب عن تبيئر الإعاقة الجسديّة يُمكّن الذوات الأنثويّة من إدراك أنّ ضعف جسدها أكثر معياريّة، وسويّة من فعل الحرب التي تخرق ذهنيّة مصوّري الإعاقة، وتلهيهم عن ذمّ الأجساد، باكتشاف إعاقتهم من خلالها.

-قائمة المصادر والمراجع.

المصادر والمراجع العربية.

[1] بينيت، طوني، وآخرون2010- **مفاتيح اصطلاحيّة : معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع** .تر: سعيد الغانمي،(الطبعة الأولى)،المنظمة العربية للترجمة، بيروت.

[2] الشيخ حنان،2009-**حكاية زهرة**. (الطبعة الخامسة)، دار الآداب، لبنان.

[3] فرويد، سيغموند. **الموجز في التحليل النفسي**. تر: سامي محمود علي ، عبد السلام ققّاش، مراجعة: مصطفى زيوار، مصر، القاهرة.

[4] كوهن كارول،2017-**المرأة والحرب**، تر: ربى خدّام الجامع، تدقيق الترجمة: ضحوك رقيّة، (الطبعة الأولى) ، دار الرحبة للنشر والتوزيع، دمشق-سوريا.

[5] كمال د.هالة،2016- **النقد الأدبيّ النسوي**، (الطبعة الأولى)، مؤسسة المرأة والذاكرة ،2015.

[6] كولمار وينـدي، وبارتكوفيسكي فرانسيس2010- **النظريّة النسويّة (مقتطفات مختارة)**. تر: عماد إبراهيم، مراجعة وتدقيق: عماد عمر، (الطبعة الأولى)، عمّان-الأردن ، الأهليّة للنشر والتوزيع .

المراجع الإنكليزيّة.

[1] AHMED,S2014- **The Cultural Politics Of Emotion .**Edinburgh University Press,

[2]ALHOSSINIE,K- ***A Thousand Splendid Suns***.2009.

[3] ROSSO, M1994 -**The female grotesque :Risk ,Excess and Modernity.** New york, Routledge.

[4] DEBAUVOIR ,S1972-**The Second Sex**.Trans .H.M Prashley, Vintage Press,

[5] GINSBURG,FAYE,D and RAYA, R,eds1995-***Conceiving a new world order :The Global Politic OF Reproduction***. University of California University Press ,Brekly,.

[6] KRIEGERS, S1996- **The family Sliver, Essays on Relationships among women.** Berkeley University Of California Press.

[7] WELLDON, E ,V199- **Motherhood, Madonna ,Whore. The idealization and Denigration of Motherhood** .Karnac

[8] TUANA,N1993-**The less Noble Sex :Scientific ,Religious and Philosophical Concepts of Women's Nature** .Indiana University press.

المجلّات والدوريّات العربيّة.

ATIEH, M2016-***The Liminal Epistemology Of Apocalyptic Disability in Augus Wilson's Joe Turner's and Gone and Fences*** .Tishreen University for Research and Scientific Studies ,Arts and Humanities Series,Vol.38,No(1).

List of Arabic References in English.

[1]BENNET,T,2010-***New keyWords:A Revised Vocabulary Of Culture And Society***. Translatedby:Saiid AL-ghani, (1st.ed),The Arabic Translation Organization, Beirut-Lebanon.

[2]AL-SHAYKH,H,2009-***The Story Of Zahra***. (Fifth .ed),Al-adab, Publishing, Lebanon.

[3]FRUED ,S-**An Introduction in Psychoanalysis**.translated by: :Sami Mahmmood Ali ,Abdalsalam Kafash,Al'osra Liberary ,Cairo.

[4]KAMAL,H,2015-**Feminist literary Criticism**.(first.ed),Women and Memory Institution ,Cairo-Egypt.

[5]KOLMAR,W&BARTKOVESKY,F2005**FeministTheory**.Trans

-alated by:Imad Ibraheem,Revising and editing by:Imad Omar, (first.ed),Jordan-Amman,Alahliah for Publishing.

[6]KOHEN,C,2016-**Women and War.**Translated by: Roba Khdam Al-jame'a,Translation revising by:Dhok Roqiah, (Fifth .ed),AL-rahbah for Publishing.